سالم
موقع التفريغ
للدروس العلمية والبحوث الشرعية
www.attafreegh.com

ثمرات العلم

لفضيلة الشَّيخ

صالح بن عبد العزيز آل الشَّيخ

حفظه الله تعالى

سالم
موقع التفريغ
للدروس العلمية والبحوث الشرعية
www.attafreegh.com

ثمرات العلم

لفضيلة الشّيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ
حفظه الله تعالى

النُّسخة الإلكترونيَّة (٢)

الشيخ لم يراجع التفريغ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، أحمده سبحانه وأثني عليه الخير كلَّه، فهو المتوحّد باستحقاق جميع أنواع المحامد، فالحمد له كثيرا كما أنعم كثيرا، وأسأله -سبحانه- أن يجعلني وإياكم ممن يحمده ويشكره كما يحب ويرضىٰ، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمدا عبده ورسوله، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليمًا مزيدًا.

أما بعد؛

فأسأل الله -جل جلاله- لي ولكم أن يجعلنا ممن إذا أعطي شكر، وإذا ابتلي صبر، وإذا أذنب استغفر.

كما أسأله المولىٰ -جل جلاله- أن يجعلني وإياكم ومن نحب من عباده وأوليائه الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

وأسأله أن يبارك لنا في أعمالنا وأعمارنا وأن يجعل قليل علمنا حجة لنا لا حجة علينا.

ثم إن العلم والحرص عليه من علامات محبة الله -جل وعلا- للعبد؛ قد صح عن النبي ﷺ أنه قال: «**من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين**» فدل الحديث بمنطوقه علىٰ أن من تفقّه في الدين وكان فقهه نافعا له أنه من علامات إرادة الله -جل وعلا- به الخير، ودلّ بمفهومه -مفهوم المخالفة- علىٰ أن من ترك العلم وسعىٰ عنه إلىٰ غيره فإنه ممن لم يرد الله به خيرا؛ لأنه ولا شك العلم يرفع العبد، كما قال -جل وعلا-: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾[المجادلة:١١]، فأهل الإيمان مرفوعون عن غيرهم، وأهل العلم من أهل الإيمان أعلىٰ من عموم أهل الإيمان بدرجات، ﴿وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾﴾[الإسراء]، فللّه -جل وعلا- الحمد علىٰ أن وفّق من وفق منا إلىٰ الإقبال علىٰ العلم والحرص عليه، فنسأل المولىٰ -جل جلاله- أن يثبتنا علىٰ هٰذا السبيل وأن يجعلنا ممن يرد حوض النبي -عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ- غير مغيرين ولا مبدّلين ولا محدِثين، إنه سبحانه جواد كريم.

موضوع هٰذه المحاضرة:

ثمرات العلم

ولاشك أن العلم له ثمرات، ودلّ علىٰ ذلك قول الله -جل وعلا-: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ

﴿وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖ ﴾[المجادلة:١١]، فمن ثمراته المنصوص عليها في القرآن أن أهل العلم مرفوعون درجات.

ومن ثمراته المذكورة في القرآن ما جاء في سورة النساء في قوله -جل وعلا-: ﴿وَلَوۡ أَنَّا كَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَنِ ٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ أَوِ ٱخۡرُجُواْ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٞ مِّنۡهُمۡۖ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ وَأَشَدَّ تَثۡبِيتٗا ٦٦ وَإِذٗا لَّأٓتَيۡنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٦٧ وَلَهَدَيۡنَٰهُمۡ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ٦٨ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾الآية، فدلّت الآية علىٰ أن الذي يعلم وعمل فإنّ هٰذا خيرا له في دنياه وخيرا له في آخرته، وأنّه إن أورثه العلم الطاعة فإنّه مع الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

وفي القرآن لم يأمر الله -جل وعلا- نبيه أن يسأل المزيد من شيء إلا من العلم؛ فقال -سبحانه- في سورة طه: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ١١٤﴾، وهٰذا مما يدلك علىٰ جلالة قدر العلم أنّ الله -جل وعلا- خص به أنبياءه وخصّ به أولياءه، فإنّ العبد كلما كان أكثر علما وأورثه العلم ثمراتِه من العلم وغيره فإنه أقرب إلىٰ ربه -جل وعلا-، قد قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ﴾[فاطر:٢٨]؛ يعني إن أحق الناس خشية لله -جل وعلا- الذين يعلمون الرّب -جل وعلا- في ذاته وأسمائه وصفاته وما جاء في شريعة أنبيائه عَلَيْهِم الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ.

لاشك إذن أن للعلم ثمرات، وثمرات العلم لا تستقصيها مثل هٰذه المحاضرة، ولابد لكل أحد منكم أن يسعىٰ إلىٰ العلم أولا؛ ثم أن يتفطّن لنفسه إن سعىٰ إلىٰ العلم هل حصّل ثمرات العلم؟ أو هل ناله من ثمرات العلم ما ناله العلماء من ذلك، أم لم ينل من ذلك شيئًا، أم كان متوسّطا؟ إلىٰ آخره.

لهٰذا نقول: لاشك أن العلم الذي يعتني به الناس قسمان كما هو ظاهر في حياة الناس، العلم الذي يعني به الناس قسمان:

- علم يراد للدنيا.
- وعلم يراد للدِّين.

والدنيا يعطيها الله -جل وعلا- من يحب ومن لا يحب؛ ولكن الدين لا يعطيه الله -جل وعلا- إلا

من يحب، وهٰذا كما جاء مأثورا فإنه من معنىٰ قوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ: «**من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين**» ومن معنىٰ قوله: «**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**».

العلم لما كان منقسما إلىٰ علم يراد بالدنيا وإلىٰ علم يراد بالدين، فإن العلماء نظروا في التفضيل بينهما.

كما قال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لما أردتُ طلب العلم نظرت فإذا العلم علمان:

- علم لصلاح الأبدان.
- وعلم لصلاح الأديان.

فنظرتُ فإذا العلم الذي لصلاح الأبدان لا يعدو الدنيا، وإذا العلم الذي هو لصلاح الأديان للدنيا والآخرة، فأقبلتُ علىٰ الفقه وتركت الطبّ.

وكان هو ممن نال طرفًا من علوم مختلفة من الطب والأدب والفراسة، إلىٰ آخره.

لهٰذا إذا قلنا: (ثمرات العلم) فنعني بها العلم الذي هو أعظم فائدة وأجزل عائدة، وهو الذي يراد للدنيا والآخرة، الذي يُصلح الله -جل وعلا- به الدنيا ويصلح الله -جل وعلا- به الآخرة، دنيا العبد؛ طالب العلم في نفسه، وآخرة العبد طالب العلم في نفسه، وكذلك دنيا غيره والمجتمع، وكذلك آخرة الأمة جميعا، كما سيأتي في ثمرات طلب العلم.

لهٰذا قال العلماء: العلم علمان:

- علم نافع.
- وعلم غير نافع.

أما العلم النافع فهو العلم بالله -جل وعلا-؛ يعني علم الدين، العلم الذي يراد للآخرة الذي يصلح الله -جل وعلا- به دنيا العبد ويصلح الله به آخرته، وهٰذا العلم هو في الحقيقة النافع؛ لأنه نفع العبد في حياته كلِّها، وحياة العبد منقسمة إلىٰ حياة أولىٰ وإلىٰ حياة أخرىٰ.

فحقيقة العلم النّافع النفع المطلق الكامل؛ هو علم الشريعة علم الدين العلم بالله -جل وعلا- وبرسوله ﷺ وبما أنزل من حدود جل جلاله.

لهٰذا لما تكلّم بعض السلف في الأنساب وسُئل: هل علم الأنساب من العلم النافع؟ قال: هو جهالته

لا تضر. يعني لا تضر العبد في دينه، ولا تضر العبد في دنياه وآخرته معا. فوجّه إلىٰ أن يعتني طالب العلم بالعلم الذي ينفعه في دينه وفي آخرته.

وهٰذا العلم النافع هو العلم الموروث عن النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ، فقد صحّ عن النبي -عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ- من حديث أبي موسىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -كما في الصحيح- أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مثل ما بعثني الله به من العلم والهدىٰ كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا، فكانت منها طائفة نقيّة قبلت الماء وأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكان منها أجادب أمسكت الماء فاستقىٰ الناس وشربوا وزرعوا، وكان منها طائفة إنما هي قيعان لا تنبت كلأ ولا تمسك ماء، فذلك مثل ما بعثني الله به من العلم والهدىٰ ومثل من علِم وعلّم**» وهٰذا الحديث لاشك أنه يدلّ علىٰ أنّ العلم الذي خصّ الله -جل وعلا- به أنبياءه وخصّ أعلىٰ الأنبياء مقاما محمدا -عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ- بأعلىٰ العلم هو العلم الذي ورّثه النبي -عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ- لهٰذا صح عنه -عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ أنه قال: «**العلماء ورثة الأنبياء فإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما فإنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحض وافر**»، لهٰذا العلم النافع هو الذي له الثمرات التي سيأتي الحديث عن بعضها.

فإذن العلم علمان: علم نافع وعلم غير نافع، والعلم النافع هو علم الدِّين وهو الذي تكلم عنه شمس الدين ابن القيم -رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ- تلميذ شيخ الإسلام ابن تيمية وناقل علمه وحافظ سيرته، حيث قال في «نونيته» في أبياته المشهورة لما تكلم عن الجهل والعلم قال:

والجهلُ داء قاتلٌ وشفاؤه ... أمران في التركيب متفقانِ
نص من القرآن أو من سنة ... وطبيب ذاك العالم الرباني
والعلم أقسام ثلاث ما لها ... من رابع والحق ذو تبيانِ
علم بأوصاف الإله ونعته ... وكذلك الأسماء للديانِ
والأمر والنهي الذي هو دينه ... وجزاؤه يوم المعاد الثاني
والكلُّ في القرآن والسنن التي ... جاءت عن المبعوث بالفرقان
والله ما قال امرُؤ متحذلق ... بسواهما إلا من الهذيان

إلىٰ آخر كلامه، فجعل العلم النافع الذي يضاد الجهل ويثمر الثمرات النافعة العظيمة في الدنيا والآخرة، جعله ثلاثة أقسام:

الأول (علم بأوصاف الإله ونعته أو وفعله)، وهٰذا يعني به التوحيد، ولاشك أن التوحيد الذي هو حق الله علىٰ العبيد العلم به هو أعظم أنواع العلوم؛ بل هو أفضل العلوم، لم؟ لأن العلم يتنوَّع بتنوع المعلوم، والتوحيد يبحث في أي شيء؟ يبحث في أسماء الله -جل وعلا- وفي صفاته وفيما يستحقه -جل وعلا- وفي حق الله -جل وعلا- علىٰ العبيد وما يتصل بذلك.

فإذن المعلوم بعلم التوحيد هو ما يتّصل بالرب -جل جلاله- وما يضاف إليه من نعوت الجلال وأسماء الجمال والجلال، فلهٰذا كان أفضل العلوم التوحيد.

قال العلماء: لأن فضل العلم بفضل المعلوم وشرف العلم بشرف المعلوم، ولهٰذا كان التوحيد أفضل العلوم وأشرفها.

وأيضا التوحيد هو أفضل العلوم النافعة؛ لأنه يُصلح اعتقاد العبد، ويُصلح باطنه، والنبي -عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ- قال في بيان تفضيله وعظم قدره عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ: «**إني لأعلمكم بالله وأخشاكم لله وأتقاكم لله**» فكلما زاد العبد علما بالله -جل جلاله- بما يستحقه وبما يضاف إليه -جل وعلا- كان لاشك أعلم فهٰذا من جهة.

ومن جهة أخرىٰ فإن العلم بالله -جل جلاله- العلم بالتوحيد يُورث صلاح الباطن، يورث صلاح القلب، يورث صلاح العبد فيما بينه وبين الله جل جلاله.

ولهٰذا قال العلماء: إن عمل القلب متنوِّع، وقول القلب هو اعتقاده؛ اعتقاده في الله جل وعلا.

يعني العلم بالتوحيد وما يتّصل بالاعتقاد وهٰذا قول القلب، والإيمان قول وعمل، فلابد من قول القلب وعمل القلب -وقول القلب هو اعتقاد القلب وعمل القلب متنوع- ولابد من قول اللسان وعمل الجوارح في الإيمان.

لهٰذا يعظم العبد إخلاصا ونية إذا كان له الحظ الأكبر من هٰذا العلم النافع الذي هو توحيد الله -جل وعلا- والعقيدة الصحيحة.

لهٰذا ينبغي لك أن تلحظ المعنىٰ هٰذا في قوله عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ: «**إنما الأعمال بالنيات، وإنما لامرئ ما نوىٰ**»، وفي رواية أخرىٰ «**وإنما لكل امرئ ما نوىٰ**» وقوله عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ: «**ألا وإنّ في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب**» والنية محلها

القلب، فرجع الأمر إلىٰ أنّ أعظم أنواع العلم النافع هو علم التوحيد الذي به صلاح القلب، والذي إذا صلح القلب صلح الجسد كله.

فإذن العلم هـٰذا هو أعظم ما تتوجه له في طلبك للعلم؛ لأنّ العلم يأتي بعد، ولأن الصلاح يأتي بعد.

فإذا صحّ قلب العبد وصحت نيته وصح علمه بربه -جل جلاله- ومعرفته بالله -جل وعلا- فإنه ولا شك لابد أن يخشع ولابد أن ينيب إلىٰ ربه وإن حصل منه غفلة فلابد أنه يرجع سريعا ولا يكون معرضا عن الله جل وعلا.

العلم الثاني من العلوم النافعة بعد علم التّوحيد الذي يشمل توحيد العبادة توحيد الأسماء والصفات توحيد الربوبية هو: **علم الأمر والنهي**؛ وهو علم الحلال والحرام، علم ما يصح من عبادتك وما لا يصح؛ يعني علم الظاهر، وهـٰذا هو الذي يسمىٰ علم الفقه، وسُمِّي علم الفقه لظاهر قول الله -جل وعلا-: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾[التوبة]، وما جاء في الأحاديث من ذكر الفقه؛ لكن في الحقيقة أنّ الفقه في القرآن هو الفهم، الفقه هو الفهم، فلهـٰذا صار الفقيه هو العالم الذي يفهم معنىٰ كلام الله -جل وعلا- وكلام رسوله ﷺ، وهـٰذا كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ﴾[الأنعام:٢٥] يعني أن يفهموه.

فإذن تسمية علم الفقه الذي يبتدئ من الصلاة إلىٰ آخره، الصّلاة وما قبلها من الشروط الطهارة والمياه التي يتطهر بها وما يتصل بذلك، هـٰذا كله جعلوه كذلك؛ لأنه بعد الشهادتين وهما أعظم أركان الإسلام.

وإلّا ففي الحقيقة بعض العلماء قسم الفقه إلىٰ قسمين فقه أكبر وفقه أصغر، وجعل الفقه الأكبر هو التوحيد، وهـٰذا لأجل أن يحظىٰ التوحيد والفقه جميعا بقوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ: «**من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين**» (**يفقهه**) يعني الفقه الأكبر والأصغر؛ يعني التوحيد وعلم الحلال والحرام.

ابن القيم في هـٰذه الأبيات قال: (والأمر والنهي الذي هو دينه) الأمر والنهي يعني العلم بالحلال والحرام؛ يعني بالفقه، وهـٰذا ولاشك أنه من علمه فإنه سيصلي علىٰ وَفق الشريعة، سيتطهر علىٰ وفق الشريعة، سيصوم علىٰ وفق الشريعة، يحج علىٰ وفق الشريعة، يبيع ويشتري علىٰ وفق الشريعة؛ بل يعاشر أهله علىٰ وفق الشريعة، ففرق بين عالم وجاهل، وليس سواء عالم وجهول.

الفقه الأمر والنهي يلاحقك في كل مكان، حتىٰ في جلستك هـٰذه يلاحقك الأمر والنهي والحلال والحرام والواجب والمندوب والمباح والمكروه إلىٰ آخره، فمن علم أحكام الشريعة تصرَّف في أحواله علىٰ وفق تلك الأحكام، فيكون مأجورا في كل حال لأنه يفعل ما يفعل متذكرا حكم الشريعة ويتصرف علىٰ وفق ذلك، وإذا أتىٰ بعض الذي يريد أن يَأتيه يأتيه وهو يعلم كذا وكذا وأن هـٰذا يجوز في هـٰذا الحال، وهـٰذا لا يجوز في هـٰذه الحال.

بخلاف من هو جاهل فإنه لا يعلم إلا قليلا فسيرتكب كثيرا من الأشياء وهو لا يعلم أنه خالف، يعصي ولا يعلم أنه عصىٰ، يخالف ولا يعلم أنه يخالف.

لهـٰذا صار أعظم الناس علمًا بالحلال والحرام وبالفقه هم أشد الناس استغفارا لله -جل وعلا-؛ بل أعظم الناس علما هو المصطفىٰ ﷺ فإنه يستغفر الله ويتوب إليه في المجلس الواحد مائة مرة كما صح عن النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ.

لهـٰذا فائدة عِظَم العلم بالحلال والحرام أن يمشي العبد وأن يسير في أحواله كلها علىٰ وفق العلم، واحد يعاشر أهله يأتي يجلس مع أولاده يكلم زوجه، يكلم أباه، يكلم أمه، إذا كان غير عالم، أو غير طالب علم أو ما يعرف الأحكام الشرعية المتعلقة بكل هـٰذا فسيعاملهم بمقتضىٰ الطبع أو بمقتضىٰ ما يهوىٰ أو مقتضىٰ ما ألف في بلده وفي مجتمعه أو ما يختاره ميزاجه ورأيه، وهـٰذا لاشك أنه قد يكون ضلالا وقد يكون خروجا عن ما جاء في حكم الشّرع.

لهـٰذا (الأمر والنهي الذي هو دينه) هـٰذا أعظم العلوم النافعة بعد التوحيد، فمن كان عالما بالتوحيد عالما بالفقه، فإنه قد حظي علىٰ هذين النوعين من العلم النافع.

والعلم الثالث، قال ابن القيم فيه **(وجزاؤه يوم المعاد الثاني)** هـٰذه أقسام العلوم الثلاثة (والعلم أقسام ثالث ما لها من رابع والحق ذو تبيان):

النوع الأول: التوحيد.

الثاني: الفقه.

الثالث: ما يحصل يوم القيامة؛ علم الجزاء؛ يعني ما يحصل يوم القيامة وما يكون فيها، وكيف يجازي الله العباد وما يجازي الله به العباد، وما يجازي الله به العباد، وكيف تكون الحسنات وكيف تكون

يحاسب الإنسان في قبره، وبما يحاسب، والعقوبات ومكفرات الذنوب إلىٰ آخر ذلك، هـٰذا لاشك من العلم العزيز الذي هو نور في صدور أهله.

ولهـٰذا تجد أن القرآن كثيرٌ من آياته في القيامة؛ بل أكثر ما جاء في القرآن التوحيد، ثم القيامة، ثم الأوامر والنواهي يعني الحلال والحرام والأحكام، لم؟ لأن الحقيقة استقبال العبد للأمر والنهي والحلال والحرام إنما يكون بعد حسن توحيده وصلاح قلبه وبعد خوفه من الله -جل وعلا- وعلمه بما يكون يوم المعاد الثاني؛ يوم القيامة.

فإذن العلم الذي هو الذي العلم النافع ويوصىٰ به، والذي ثمراته ستأتي إن شاء الله تعالىٰ، ومن ثمراته الذي هو هـٰذا العلم الذي ذكره ابن القيم: التوحيد، الفقه، ما يحصل يوم القيامة من بعد موتك إلىٰ أن يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار.

هـٰذا العلم النافع ما مصدره؟ من أين تتلقاه؟

لاشك أن العلم لابد أن يُتلقىٰ عن الله -جل وعلا- وعن رسوله ﷺ؛ ولهـٰذا قال ابن القيم بعدها: (والكل) يعني كل أقسام العلوم؛

والكـــلُّ في القـــرآن والســـنن التـــي جـــاءت عـــن المبعـــوث بالفرقـــان

العلماء ما وظيفتهم؟ «**العلماء ورثة الأنبياء**» بنص الحديث، إذا كان العلم في الكتاب والسنة فما وظيفة العلماء من الصحابة -رضوان الله عليهم- إلىٰ وقتنا الحاضر وإلىٰ أن يرث الأرض ومن عليها؟ العلماء ورثة الأنبياء، والأنبياء مبلغون، الأنبياء مبشّرون ومنذرون، يبلغون رسالات الله كما قال سبحانه الذي يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا إلا الله.

إذن العلماء وظيفتهم البلاغ، بيان الحق وعدم الكتمان، فلابد أن يكون للنبي ﷺ في كل زمان من أهل العلم من يصدعون بأحكام الله -جل وعلا- لبيان التوحيد وبيان ضده من الشرك وبيان حقوق الله -جل وعلا-، وبيان الحلال والحرام، وبيان ما يقرّب الناس إلىٰ الجنة ويبعِّدهم من النار.

هـٰذه مهمة الأنبياء والمرسلين وهي البلاغ ﴿إِنۡ عَلَيۡكَ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ﴾[الشورىٰ:٤٨]، فإذا كان كذلك، فإذن العالم يشرح للعامة يشرح للناس معاني كلام الله -جل وعلا- ومعاني رسوله، يبين الأحكام بما يعلم من دليل الأحكام من الكتاب والسنة، أو من إجماع أهل العلم أو بما اجتهد فيه المجتهدون.

فإذن العالم في الحقيقة في هـٰذه الأمة ورث نبينا -عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ-، وهـٰذه الأمة ليس فيها نبي بعد محمد -عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ-، كان بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما مضىٰ نبي جاء نبي، الأنبياء في بني إسرائيل كثير جدا عددهم؛ لكن في هـٰذه الأمة جعل الله -جل وعلا- العلماء يقومون مقام الأنبياء في البيان والإرشاد والجهاد وبيان الحق وبيان ضده حتىٰ يكون الناس علىٰ بصيرة، وقد قال عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ: «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين علىٰ الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتىٰ يأتي أمر الله وهم كذلك**» كما هو في الصحيح.

إذا تبين هـٰذا فإذن العلم يؤخذ عن أهله، وأهل العلم هم الذين يبينون معاني الكتاب والسنة، رام طوائف من الخوارج وغيرهم، راموا أخذ العلم عن غير الصحابة بل عن أنفسهم فضلوا وأضلوا؛ بل قال فيهم عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ: «**سيكون قوم حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام يقولون من قول خير البرية، يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، أينما لقيتموهم فاقتلوهم، ولئن لقيتهم لأقتلنهم قتل عاد**» وهـٰذا يدلك علىٰ أن الشأن ليس في أخذ العلم؛ يعني في أخذ القرآن في أخذ السنة، وإنما الشأن في الطريقة التي يؤخذ بها معنىٰ القرآن ومعنىٰ السنة، ولهـٰذا قال ابن القيم مبينا لك هـٰذا المعنىٰ قال:

والجهـــــلُ داء قاتـــــلٌ وشـــــفاؤه أمـــــران في التركيـــــب متفقـــــانِ
نـــص مـــن القـــرآن أو مـــن ســـنة وطبيـــــب ذاك العـــــالم الرّبـــــاني

لابد من طريق، وإلا فالنبي ﷺ ذمّ من لم يأخذ العلم عن أهله كما ذمَّ الخوارج وكما ذم غيرَهم.

لهـٰذا نقول العلم لاشك النافع الذي ينفع العبد في دنياه وفي آخرته وله من الثمرات ما سيأتي بيان بعضها هو العلم بهـٰذه الأقسام وهـٰذا طريقه، فإن العلم الذي يستقل به العبد فإنه قد يكون فيه من البلاء عليه ومن الغلط ما لا تؤمن معه العاقبة.

لهـٰذا نقول: إنه إذا اتّضح ذلك وبان لك أن العلم أعظم ما تسعىٰ إليه، وأن من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين، وأن النبي -عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ- شبه الذي قبِل الهدىٰ والعلم الذي جاء به -عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ- بالأرض النقية الطيبة التي حفظت الماء وأنبتت الكلأ والعشب الكثير فنفعت الناس، قال: «**كذلك مثل من علم وعلّم**»، إذا علمت هـٰذا وعلمت عظم هـٰذا المثل، وأنّ أعظم من أخذ وقبِل هدىٰ

الله -جل وعلا- الذي بعثه -عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ- هو من علم فعلّم، زادك هـٰذا حرصا علىٰ العلم وأخذا له وشغفا به ومحافظة عليه وحرصا علىٰ طريق أهله، وهم العلماء الذين ورثوا محمدا عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ.

إذا تبيّن هـٰذا نقول: إنّ العلم له ثمرات عظيمة لمن أخذه بحق، وهـٰذه الثّمرات -يعني الفوائد والنتائج- تراها مُثمرة للعبد في نفسه، وتراها مثمرة لمن أخذ العلم أيضا في غيره، وثمرات العلم لا تقتصر علىٰ العبد في نفسه؛ بل العلم يُثمر لمن حمله بحق يثمر في نفسه وفي غيره، كلٌّ بحسب ما قدر الله -جل وعلا- له، لاشك أنّ العلماء في أنواع ثمارهم لا يتساوون، وكذلك طلبة العلم لا يتساوون، وصحابة النبي -عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ- الذين هم من العلماء لم يتساووا في أثر العلم علىٰ الناس جميعا، فمنهم من كان له أعظم الأثر، ومنهم من كان له الأثر العظيم؛ لكنه أقل من السابق وهكذا، وكلٌّ أثرهم كان في العلم عظيم.

لهـٰذا نقول: إنّ الثمرات هـٰذه منها ما هو قاصر علىٰ العبد في نفسه، ومنها ما هو متعدٍّ، منها ما هو قليل، ومنها ما هو كثير.

العلم أعظم ما يُورِث في العبد خشية الله -جل وعلا-، ولاشك أن الإيمان عند أهل السنة والجماعة يتبعّض، ويزيد وينقص، لهـٰذا من أعظم ما يزيد به الإيمان العلم، والعلم يورِث الخشية، فرجع الأمر إلىٰ أنّ من ثمرات العلم علىٰ طالب العلم أن يكون ذا خشية من الله -جل وعلا-، وحقيقة الخشية التي قال فيها -جل جلاله- في وصف أهلها: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾[فاطر:٢٨]؛ حقيقة هـٰذه الخشية أنه خوفٌ لكن مع عدم اضطراب، الخوف يكون معه عدم اضطراب ويكون معه عدم سكينة، لهـٰذا كان الخوف عامًّا، قال: خاف فلان من عدوه، وخاف من النار وخاف من الأسد وخاف من المرض، هـٰذا الخوف يحدث العبد نوعا من الاضطراب؛ لكن إذا كان الخوف خوف خشية فإن هـٰذا هو خوف الملائكة وخوف الأنبياء الذي هو خوف الخشية.

لهـٰذا جعل الله -جل وعلا- العلماء خوفهم منه -جل جلاله- خوف خشية؛ فقال: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾؛ لمّا كان الإيمان يتبعّض كذلك الخشية تتبعّض، لهـٰذا العلم كلما زاد كلما قاد صاحبه إلىٰ الخشية، وإذا كان أضعف خشية فإنه يُذكر صاحبه بأن يعود إلىٰ خوف الله -جل وعلا-

وخشيته والإنابة إليه.

لهٰذا قال بعض أهل العلم: طلبنا العلم وليس لنا نية فجاءت النية بعد. لماذا؟ طلب العلم بدون نية، طلب العلم تبع مع زملائه تبع أصدقائه أو طاعة لوالديه أو لأي سبب من الأسباب، ما كان له نية صالحة فيه أو ما كان له نية في العلم بالله -جل وعلا- وتعظيم خشيته والإنابة إليه، ثم لما أخذ طرفا من العلوم قاده ذلك إلىٰ خشية الله جل وعلا.

لهٰذا أعظم ما يُثمر العلم في العبد أن يكون ذا خشية من الله -جل وعلا-، وأن يكون مُجِلًّا له سبحانه خائفا.

من ثمرات العلم أن يكون العبد مُخلصًا، العلم النافع الذي هو التوحيد يقود إلىٰ الإخلاص؛ لأنه يعلم، من علم التوحيد ورفع به الرّأس وحافظ عليه ولم يهجره إلىٰ غيره؛ بل تمسك به، دائما يلاحقه في إخلاصه، يلاحقه في نيّته، يلاحقه في تعظيم حق ربه -جل وعلا-، ويلاحقه في نبذ الشِّرك بأنواعه، من الشرك الأكبر والعياذ بالله والأصغر وهو كثير في زماننا هٰذا، وكذلك الشرك الخفي الذي هو في هٰذه الأمة أخفىٰ من دبيب النملة السّوداء علىٰ الصفاة السوداء في ظلمة الليل.

بعض الناس يقول: الحمد لله، نحن مخلصين ما عندنا ولله الحمد شرك. لا، التوحيد يدلك علىٰ الإخلاص في كل شيء، يلاحقك، كيف تُخلص في طلبك للعلم، كيف تُخلص في معاملتك لوالديك، كيف تُخلص في معاملتك لأهلك، كيف تخلص في علمك؛ لأن التعامل في الجميع مع من؟ مع رب العالمين جل جلاله.

فالإخلاص بأن يكون القصد وجه الله -جل وعلا- هٰذا شرط العمل: «**إنما الأعمال بالنيّات وإنما لامرئ ما نوىٰ**».

ولهٰذا جاء في بر الوالدين لما ذكر -جل وعلا- في سورة الإسراء الأمر ببر الوالدين ذكّر الله -جل وعلا- بالإخلاص كما قال سبحانه: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا۟ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾﴾[الإسراء]، قال العلماء: لابد للإنسان إذا راعىٰ والديه في حال الكبر لابد أن يكون عنده نوع ملل، لابد أن يكون عنده نوع فتور ورغبة أنه لا يفعل هٰذا الشيء، نوادر من

يكون صابرا محتسبا في كل حركة وفي كل قول وفي كل عمل، قال سبحانه: ﴿ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ ﴾ هل تعملون هٰذا احتسابا وامتثالا ورغبة فيما عند الله -جل وعلا-، أو تعملونه كرها ﴿ إِن تَكُونُوا۟ صَٰلِحِينَ ﴾ إذا صلحت منكم القلوب باطنا والنية باطنا وصلحت منكم الأعمال ظاهرا ﴿ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ ﴾ الذين يكثرون الرجوع إليه استغفارا مما قد يحصل من القصور ﴿ غَفُورًا ﴾ يغفر الذنب مغفرة واسعة.

هٰذا تنبيه للإخلاص في معاملة ما، فكيف في معاملة للأهل، معاملة للأولاد، التعامل مع أهل الحقوق جميعا سواء كانوا كبارا أم صغارا.

إذن أعظم ما يثمر العلم النافع أنه يلاحق صاحبه بالإخلاص في كل عمل، لهٰذا ذكر العلماء: أن الإخلاص في أي عمل له قدر مشترك في كل الأعمال، وكل عمل له إخلاص ونية تخصه.

فالإخلاص في جميع الأعمال هو أن يكون القصد وجه الله -جل وعلا- لا الدنيا، هٰذا قدر مشترك في كل عمل.

والإخلاص في كل عمل؛ يعني في الأعمال يعني في كل عمل، عمل، هٰذا بحسب ذاك العمل.

فالإخلاص في طلب العلم ما هو؟ قال العلماء: أن ينوي رفع الجهل عن نفسه وعن غيره، ينوي أن يتعلم ليرفع الجهل عن نفسه فيعمل في عمل موافق للشريعة، وأن يعمل ليعلّم غيره ويبلِّغ شريعة الله جل وعلا.

الإخلاص في بر الوالدين له حال، الإخلاص في العمل له حال، إلىٰ آخره، الإخلاص في الجهاد له حال، الإخلاص في الدعوة له أيضا تعريف.

إذن هٰذا من عظيم ما تطلبه وتسجله من الفوائد عندك أن تتطلّب الإخلاص العام والإخلاص الخاص.

فأعظم ما يلاحقك به العلم ويثمر في قلبك الثمرات النافعة أنه يلاحقك في الإخلاص؛ أن تكون مخلصا لله -جل وعلا- في جميع أحوالك.

ولقد قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في ذكر المخلصين قال:

فلواحد كن واحدا في واحد ... أعني سبيل الحق والإيمان

يعني بكل جميع أعمالك لله الواحد الأحد.

من ثمرات العلم أن العلم يورث العمل الصالح، العلم النافع لابد لصاحبه أن يكون ذا عمل؛ يعني أن يعمل بما علم، أما الذي لا يعمل بما علم فهو داخل في قول الله -جل وعلا-: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾[البقرة:٤٤]، فقال السلف رحمهم الله: العلم يورث العمل، ويهتف بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل، فصار للعلم مع العمل له شأنان:

الأول أن العلم يورث العمل، من علم علما نافع لابد أنه يخشىٰ الله ويتقيه ويحافظ علىٰ الفرائض ويجتنب المحرمات وأهل العلم في ذلك درجات.

وأيضا العلم يهتف بالعمل، العلم دائمًا يطلب من صاحبه أن يعمل، فإن أجابه، يعني إن وجد العلم من صاحبه العمل، وإلا ارتحل عنه.

ولذلك شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ ذكر من قوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ ﴾[النساء]، قال: من فوائد الآية أن الفعل والعمل لما أُمر به العبد وعلمه يورث الخيرية له ويورث الثبات، قال: ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴾، التثبيت بأيش؟ قال تثبيتا في الإيمان تثبيت للمعلومات، ولهٰذا نرىٰ من علمائنا الصالحين حفظهم الله -جل وعلا- نفع بهم، نرىٰ منهم العمل الكثير الصالح مما ثبت العلم في قلوبهم وفي صدورهم، فنفعوا الناس عقودا من السنين عشرات السنين وهم ينفعون الناس، وذلك من فضل الله -جل وعلا- عليهم ونعمته، ختم الله -جل وعلا- لهم بخير.

إذن لابد لك إذا أردت العلم أن يثمر العلم الذي تعلمه العمل، كيف يثمر العمل؟ يعني أعظم العمل صلاح القلب بأنواع أعمال القلوب؛ لأن أعمال القلوب شأنُها عظيم، أعمال القلوب ممثل الإخلاص لله -جل وعلا-، وممثل التوكل علىٰ الله -جل وعلا-، الإنابة إليه خشية الرب -جل وعلا- محبته، الخوف منه ﷻ الرّغب وحسن الظن به، أعمال القلوب من جهة عدم الكبر، التواضع لله -جل وعلا-، تحقير النفس في ذات الله -جل وعلا-، إلىٰ آخره، أعمال القلوب يجب أن تفتش عنها؛ لأنها واجبات وكثير من الناس يغفل عنها.

ثم العمل -أعمال الجوارح- منها إتيان الفرائض وترك المحرمات. والمسابقة في النوافل المسابقة في

النوافل من الصلاة والصيام والصدقات والعلم النفل والدعوة النفل إلىٰ آخره، هٰذا كله مما يثبِّت العلم ويجعل العبد مؤتمرا بالمعروف منتهيا عن المنكر.

لاشك الموضوع يطول تفصيله؛ لكن هٰذه إشارات لعلها تكون مفتاحًا لكم في مدارسة غيرها.

أيضا من ثمرات العلم وهو أعظم الثمرات: الصلاح، طالب العلم والعالم يُثمر علمه الذي يحمله أن يكون صالحا، ومن هو الصالح؟ أهل التفسير -علماء التفسير- فسّروا الصالح في الآيات التي وردت بأن:

الصالح من عباد الله هو القائم بحقوق الله وحقوق عباده.

هٰذا هو الصالح، من قام بحقوق الله، وحقوق العباد فهو الصالح.

إذن الحقوق عظيمة، فالعلم يورث ويثمر في صاحبه أن يكون صالحًا؛ يعني قائما بحقوق الله بإتيانه الفائض والنوافل مسابقا في الخيرات بحسب ما قُدر له، وأن يكون قائما بحقوق العباد حقوق العباد؛ أعني جميع أنواع العباد من المسلمين ومن غيرهم، هٰذه الحقوق التي نصّ الله -جل وعلا- عليها في القرآن أو جاءت في السنة أو أجمع عليها أهل العلم لاشك أن القيام بها دين، والعلم إذا تعلم الإنسان القرآن وتعلم السنة ورأىٰ هٰذه الحقوق فلابد أن يمتثلها وإلا فإنه سيكون غير قائم بحقوق العلم.

ما هٰذه الحقوق؟ أعظم حق لله التوحيد، وقد ذكرنا لك طرفا مما يتّصل بهٰذا؛ يعني الصالح من عباد الله الذي علم فأصلحه الله -جل وعلا- لا تجده زاهدًا في التوحيد، ليش؟ لأن التوحيد بالخصوص والعقيدة بالخصوص تُنسىٰ، وتأتي الشّواغل عنها فيقع العبد في ضدها وهو لا يعلم، وقارن في ذلك بين ما عليه الناس الآن في أمر التّوحيد وأمر حساسية الألفاظ وما يتّصل بالشرك، وما كانوا عليه في هٰذه البلاد من خمسين سنة، كيف كانت الحساسية وكيف كان الشعور، الآن بعض الصغار وبعض النساء يفعلون أشياء وين التوحيد إذن؟ وين ثمراته؟ كيف صار صالحا قائما بحقوق الله وهو ما رفع بذلك الرّأس وتحمس له وعلِمه وعلَّمه وبلغه.

إذن الصلاح يورث لاشك القيام بحقوق الله -جل وعلا-، وكلما زاد العبد معرفة حق الله زاد حرصا علىٰ التوحيد ومفرداته جميعا، وزاد خوفا من الشرك وأنواعه.

لهٰذا قال إبراهيم الخليل -عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ- الذي هو أعلم أهل زمانه بالله -جل وعلا- سائلا

ربه قال: ﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ﴿٣٥﴾﴾[إبراهيم]، قال إبراهيم التيمي -كما تعلمون في تفسير الآية- لما تلا الآية قال: ومن يأمن البلاء بعد إبراهيم؟ كان إبراهيم الخليل -عليه السلام- ما أمن البلاء بعبادة الأصنام، فسأل ربه أن يجنبه ويجنب بنيه عبادة الأصنام قال من يأمن البلاء بعد إبراهيم؟ إذن نحن لا نأمن.

وإذا أمنت؛ من أمن الله علىٰ نفسه طرفة عين أتاه الله علىٰ غرة، فالله -جل وعلا- يستدرج العباد.

ثم القسم الثاني القيام بحقوق العباد.

حقوق الله -جل وعلا- في الحلال والحرام، ما أحله وما حرمه، إتيان الفرائض والمحافظة عليها في أوقاتها، وتحريم المحرمات، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في كل زمان بحسبه، هٰذه لاشك كلها فرائض ومن ثمرات العلم كما سيأتي بسط بعضها.

حقوق العباد، هٰذه من ثمرات الصلاح، لهٰذا تجد طالب العلم الحق يخشىٰ من حقوق العباد، لم؟ لأنه يعلم أن حق الله -جل وعلا- مبني علىٰ المسامحة، وحقوق العباد مبنية علىٰ المشاحّة، والله -جل وعلا- أكرم الأكرمين وأجود الأجودين وأرحم الراحمين يغفر سبحانه ولا يبالي؛ لكن العباد يوم القيامة ما فيهم إلا المشاحة، لهٰذا يخشىٰ العبد من التفريط بحقوق العباد.

وحقوق العباد متنوعة كثيرة، وقد ذكرناها مفصلة في محاضرة في بيان الحقوق.

من ثمرات العلم أنّ العلم يورث في طالب العلم الاقتداء بأهله، ولقد كان السّلف يظنون بطالب العلم خيرا إذا كان يصاحب الأشياخ، ويظنون به شرا إذا كان يصاحب الأحداث، كما جاء في «جامع بيان العلم وفضله» لابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ لأن صحبة الأشياخ والكبار تحمل علىٰ أن يقتدي بهم، وأن يرىٰ العلم ويرىٰ فهم العلم ومعاني التنزيل ومعاني السنة وكيف يتعامل مع الأشياخ يراها أمامه، وإذا كان لا يصاحب من أخذ العلم قبله وعقد مع العلم قلبه سنين عددا، إذا كان لا يصاحبه وإنما يصاحب الأحداث فإنه لابد أن يكون عنده نقص وربما شر، كما جاء في قول من سلف:

وكل خير في اتباع من سلف وكل شر في ابتداع من خلف

العلم يتوارثه العلماء هديا وسمتا ودلاّ، ويتفاوتون فيما بينهم في التزام ما دل عليه العلم ولاشك؛ لكن العلم والعمل محفوظ بأهل العلم وأهل الحديث والسنة بلا شك، ويتفاوتون فيه، فطالب العلم يثمر

العلم فيه أنه يحب العلم ويحب أهله ويقتدي بهم.

والعلم وأهل العلم لهم منهاج يتوارثونه، ربما لا يكون ذلك موجودا في كل كتاب، أو في كل شرح أو بيان؛ لكن أهل العلم يقتدي الخالف منهم بالسالف؛ أعني أهل العلم بالسنة المتحقّقين بهدي السلف؛ يعني علماء الضلالة والبدع لا يدخلون في ذلك.

لهٰذا فطالب العلم يُثمر له العلم أن ينهج نهج العلماء، وأن يقتدي بهم وأن ينظر سيرتهم.

ومن علامات العلم النافع أن يسير المرء سيرة أهل العلم، ومن علامات أن العلم لم يثمر الثمرات النافعة في صاحبه أنه يهجر أهل العلم أو أنه ينال منهم -والعياذ بالله- أو أنه يستهزئ بهم أو أنه يحتقرهم ويظن أن الخير ليس عندهم وإنما عند غيرهم، والله -جل وعلا- بيّن أن العلماء هم المرفوعون درجات.

من ثمرات العلم علىٰ أهله أنّ العلم النافع يورث صاحبه التؤدة وعدم العجلات إلا في الخير، ولما قيل لأبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في بعض أموره التي استعجل فيها من أمور العبادات وقيل له: إنّ العجلة مذمومة قال: ليس كل عجلة مذمومة، فالعجلة إلىٰ الله -أي إلىٰ العبادة- محمودة؛ وإلا لو كانت مذمومة لم يقل موسىٰ لربه جل جلاله: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾﴾[طه].

إذا كان الواحد يستعجل في الذهاب في الذهاب إلىٰ المسجد، لا يأتي واحد يقول له: لا تستعجل.

يستعجل في خير كما قال الشافعي:

إذا هبت رياحك فاغتنمها ... فإن لكل عاصفة سكون

جاء أمر من الخير تخشىٰ أن يفوت.

فيك نشاط لقيام الليل، ما يأتي دائما.

فيك نشاط لحفظ القرآن، ما يأتي دائما.

فيك نشاط للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لا يأتي دائما.

فيك نشاط للدعوة، لا يأتي دائما.

فالعجلة في الخير يعني الاستعجال فيما يحب الله -جل وعلا- ويرضىٰ من الأقوال والأعمال لاشك أن هٰذا محمود؛ لكن العلم يورث صاحبه التؤدة والحلم والأناة في شأنه كله.

والتؤدة والأناة والحلم من الخصال المحمودة التي تفيد المرء في علمه وتعلمه، وكذلك في تعامله مع الناس.

ومن ثمرات العلم أيضا أن العلم يورث صاحبه التّواضع، فلا تجد عالما متكبّرا؛ نعني بالكبر أنه يردّ الحق فيغمط الناس، لا يقبل الحق ويحتقر الناس ويقع في الناس، هٰذه ليست من صفات أهل العلم، وكلما زاد العبد في العلم رسوخا صار العلم في حقه نافعا كلما تواضع لله -جل وعلا-، قد صح عن النبي -عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ- أنه قال: «**إن الله أوحي إلي أن تواضعوا حتىٰ لا يفخر أحد علىٰ أحد ولا يبغي أحد علىٰ أحد**» لا تجد طالب العلم متحقق بالعلم يفتخر -يعني افتخار الجاهلية- يفتخر بنسبه ويحقر الناس في أنسابهم، ولا تجد طالب العلم متحقق بالعلم يرىٰ نفسه أعظم من الآخرين؛ بل كلما كان العلم أنفع في حقه كلما ظن أن طلبة العلم الآخرين أنهم أنفع للعباد وأنهم أخشىٰ لله -جل وعلا- ويحتقر نفسه ويتواضع لله -جل وعلا-؛ لأنه يعلم من نفسه ما يعلم، ويتعاون معهم علىٰ الخير والهدىٰ، ويبذل ما يستطيع.

الحسد يكون بين طلبة العلم ويكون بين العلماء، قد حصل في الزمن الأول، كما أنه باقٍ يحصل في كل زمان؛ لكن لاشك أن العلم يوجب علىٰ العبد أن يكون متواضعا، ويوجب علىٰ العبد أن لا يكون حاسدا، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، صار فلان أحفظ مني أو صار أعلم أو صار أنفع للعباد أو صار، الواحد يفرح أن يقوم قائم بحق الله -جل وعلا- وحق العباد، وأن يؤدي هٰذه المهمة وأن يأمر بالمعروف وينهىٰ عن المنكر، وأن يدعو إلىٰ الله -جل وعلا-، أن كان فلانا أذكر من فلان أو أذكىٰ من فلان أو أحفظ أو أعلم يقع فيه أو يتتبع غلطاته أو تجد أنه يلمز فلانا أو أن مؤلفات هٰذا أكثر أو لأن مؤلف فلان نفع، تجد أنه يطعن فيه أو نحو ذلك، لاشك أن العلم يجعل صاحبه لا يتحاسد مع إخوانه، ولا يحقر أخاه، قد قال عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ: «**بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم**»، أسأل الله -جل وعلا- أن يجنبني وإياكم وأن يجنب إخواننا ذلك.

ومن ثمرات العلم أيضا أنّ العلم النّافع الذي ذكرناه يورث أصحابه وحملته الخُلق الجميل والنعت الفاضل في أقوالهم وفي أعمالهم، ولهٰذا أحقُّ الناس بالأخلاق الفاضلة هم العلماء؛ لأنهم ورثة محمد -عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ- والنبي -عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ- قال فيه ربنا جل جلاله: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ

﴿٤﴾[القلم]، فأهل العلم كما يرثون العلم يرثون الخُلق الفاضل ويرثون الكلام الجميل والعفو عمن أساء، ويرثون كل خصلة خير.

لهٰذا العلم يُثمر في صاحبه أن يكون عفّ اللسان وأن لا يكون بذيء اللسان، أما من كان سبَّابًا شتاما يقع في هٰذا ويقع في هٰذا ونحو ذلك، هٰذا في الحقيقة لم يتحقّق بالعلم فلم يثمر فيه العلم ثمرة نافعة، العلم يورث الخلق الحميد في تعامل الإنسان في بيته، يورث الخلق الحميد في تعامل الإنسان مع من يخطئ عليه، ومع من يتعدىٰ عليه، فكيف بما يفعله الإنسان مع غيره ابتداءً، لاشك أنّ العالم هو أحق الناس وطالب العلم هو أحق الناس بالأخلاق الفاضلة؛ بأن يبذل الندىٰ، ويعفو عن من أساء وأن يكون لسانه طيبا، وفعله طيبا، وأن يتحلىٰ بخلق النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ ما استطاع.

كما ذكرتُ لك في البداية أن ثمرات العلم تأخذها من حياة العلماء بعدما تنظر فيما دلّ عليه الدليل وهدي السلف، لاشك أنها كثيرة متعددة ومتنوعة؛ لكن لعله فيما ذُكر إشارة إلىٰ ما طُوي.

وأسأل الله -جل وعلا- أن يجعلني وإياكم ممن علم فعمل وعلّم وأن يجعل علمنا حجة لنا، وأن يقينا شرور أنفسنا، ونسأله -جل وعلا- بأسمائه الحسنىٰ وصفاته العلىٰ أن يوفقني وإياكم إلىٰ ما يحب ويرضىٰ، وأن يختم لنا بالخاتمة الحسنة.

اللّٰهمَّ وفقنا إلىٰ ما فيه رضاك، وجنبنا ما فيه سخطك يا أكرم الأكرمين.

نسألك اللّٰهمَّ أن توفّق ولاة أمورنا إلىٰ ما فيه الصلاح، وأن تهيئ لهم البطانة الصالحة التي تدلهم علىٰ الخير وتحثهم عليه.

اللّٰهمَّ أعن علماءنا علىٰ كل خير وأجزهم خير الجزاء علىٰ ما قدموا وبذلوا إنك جواد كريم تجزي وتُعظم الجزاء وتعظم الأجر والثواب اللهم أعظم أجورهم وثبت أقوالهم وأعمالهم، وانفعنا بعلومهم يا أكرم الأكرمين.

وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

[الأسئلة]

الأسئلة يعني بعض الإخوة يقول: إن الأسئلة إذا صارت كثيرة لا يمكن الجواب عنها جميعا، وهٰذا

صحيح؛ لكننا نستفيد من كثرة الأسئلة في موضوعات ومحاضرات؛ لأنّ المحاضرات كثيرة، ومن الأسئلة تخرج موضوعات وتخرج حاجات الإخوة وطلبة العلم والشباب؛ فيُستفاد من السؤال أحيانا في عناصر محاضرة جديدة، يُستفاد من الأسئلة في معالجة موضوع، في بيان في خطبة، لهٰذا الأسئلة تنفع وإن لم يُلقَ منها إلا القليل، جزاكم الله خيرا.

سؤال (٠١): فضيلة الشيخ -حفظك الله ورعاك- ما رأيك فيمن يتعلم العلم من أجل الدين والدنيا؛ ولكن هل يكون الأساسي هو نيل الشهادة العلمية والوظيفة، ولكم جزيل الشكر؟

الجواب: الحمد لله.

العلم لاشك أنه عبادة، العبادة لابد لها من الإخلاص فيها، فإذا طلب العلم للدنيا فقط درس في الكلية وهمه فقط أن يتخرج ويتوظّف -والمقصود بالعلم العلم الشرعي- فهٰذا نيته فاسدة، فيخشىٰ أن يكون داخلا بعموم قوله -جل وعلا- في سورة هود: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾، وقد أدخل في معنىٰ الآية السلف أشياء مما هي دون العمل؛ دون إظهار الإسلام وإبطان الكفر، وهي مبيّنة في «**كتاب التوحيد**» **مع شرحه في ذكر الأربع الصور الداخلة فيه.**

فالذي يعمل العمل الصالح يعني العمل العبادي يريد به الدنيا هٰذا لاشك أنه علىٰ خطر عظيم، وعمله نوع من أنواع الشرك؛ لأن العمل عبادة؛ العمل الصالح -العلم، الصلاة، الدعوة- كل هٰذه عبادة يريدها للدنيا هٰذه لاشك أنه من الشرك بالله -جل وعلا- نسأل الله العافية والسلامة.

لكن السؤال هنا من أراد طلب العلم الشرعي في الكليات مثلا أو أخذ الشهادة العالية من الماجستير والدكتوراه كيف يصحح نيته، كيف يجعل عمله هٰذا لله، فمنذ أن يدخل الكلية من الصباح إلىٰ أن يخرج وهو في عبادة لأن نيته صالحة، كيف يحصل ذلك؟ يحصل بما ذكرنا لك، بأن يخلص القصد بأن يكون قصده من طلب العلم في هٰذه الكلية أن يكون قصده أن يرفع الجهل عن نفسه، قصده أن يتعلم علما ينفي به الجهالة في الدين عن نفسه، يتعلم علم العقيدة الفقه الحلال و الحرام الحديث، شرحه، وبيان التفسير، حفظ القرآن، من نظر إلىٰ هٰذه الأمور فجعل دخوله هٰذه الكلية وتحضيره لرسالة الماجستير ودكتوراه أنه تعينه علىٰ رفع الجهالة عن نفسه فهٰذا نيته صالحة، فيكون بعد ذلك ما يحصّله من الدنيا

تكون تبعا لذلك لا قصدا، تكون تبعا بعد ما ينويه من النية الصالحة. هٰذا لا بأس به.

وذكر السلف في ذلك -كما ذكرت لكم- قال: طلبنا العلم لغير الله فأبىٰ أن يكون إلا لله. كما قال ابن المبارك وغيره، يعني (طلبنا العلم لغير الله) يعني في أول الطلب ما كان عندنا نية خالصة لله؛ لكن علمنا لما تعلمنا أنه يجب الإخلاص ويجب أن يكون العلم لله (فأبىٰ أن تكون النية) أبىٰ العلم (أن تكون النية إلا لله).

فهٰذا لاشك أن الموضوعات المهمة التي يجب علىٰ طلاب العلم أن يعتنوا بها.

أما العلم غير الشرعي مثل أنه يطلب يعلم الطب أو علم من العلوم المختلفة أو يتخصص في الرياضيات أو في الفيزياء أو في الكيمياء أو في الهندسة أو في الكمبيوتر أو في نوع من العلوم التي تراد للدنيا، فإن هٰذه العلوم لاشك أن قيام طائفة من المؤمنين بها من فروض الكفايات، لابد أن تقوم طائفة بها؛ لأنها إذا قام بها طائفة من المؤمنين قويت الأمة وقوي أهل الإسلام واكتفوا عن غيرهم وإلىٰ غير ذلك من التعليلات المعروفة.

لذلك قال العلماء: تعلم هٰذه الأمور أيضا يدخل في فروض الكفايات إذا كانت الحاجة إليها من الضروريات. والحاجة إليها الآن للأمّة من الضروريات كما هو واضح.

فكيف تكون النية؟

أن ينوي في طلبه لهٰذه العلوم أن تعتز الأمّة وتقوىٰ وأن ينفع المسلمين في بلادهم وفي غيرها بعلمه. فهٰذا إذا نوىٰ هٰذه النية الصالحة؛ لأن هٰذه نية فروض الكفايات الصناعية فإنه يكون علىٰ خير ويؤجر إن شاء الله تعالىٰ، ولكن لو طلب بها الدنيا المحضة -يعني العلوم التي تراد للدنيا- فبعض العلماء يقول: إنه لا يأثم بذلك؛ لأنها في الأصل تراد للدنيا.

سؤال (٠٢): فضيلة الشيخ منذ زمن وأنا أطلب العلم؛ ولكن لا أرىٰ له أثر عليّ وعلىٰ أهلي إلا قليلا فما سبب ذلك وما هو علاجه؟

الجواب: كون العبد -طالب العلم- يحس بتقصيره هٰذا من ثمرات العلم، يحس بأنّ العلم لم يثمر فيه وأنه لابد له أن يجاهد نفسه، هٰذا من ثمرات العلم النافع؛ لأنّ الناس يفتح لهم فيه، وليس كل أحد يُفتح له في جميع العلوم، وليس أحد يفتح له في علم معين بنفسه، وليس كل أحد أيضا يفتح له العمل.

وقد جاء رجل إلىٰ الإمام مالك -رَحِمَهُ اللهُ تعالىٰ- وقال له: يا إمامنا نرىٰ منك كل أمر جميل؛ لكنك لا تجاهد في سبيل الله. فقال: إنّ من عباد الله من فتح له باب الصلاة، وإنّ من عباد الله من فتح له باب الصيام، وإن من عباد الله من فتح له باب الحج، وإن من عباد الله من فتح له باب الجهاد، وإن من عباد الله من فتح له باب العلم والتعليم، وأنا ممن فتح لي هٰذا الباب ورضيت بما فتح الله لي.

يعني أنه يصعب أن يقيِّم الإنسان نفسه بأنه يثمر العلم فيه في كل ميدان، هٰذا صعب، ربما كان من تحميل ما لا يطاق، صعب أن يكون في كل ميدان طالب العلم موجودا، يعني أن يكون طالب علم ويعلّم ويأمر بالمعروف وينهىٰ عن المنكر في كل وقت، ويدعو إلىٰ الله في كل وقت، ويقوم بحقوق والديه وحقوق أولاده في كل وقت، ويقوم بحقوق العامة في كل وقت؛ يعني كثرتها صعب أن يقوم بها واحد من أهل العلم.

نعم قد يهيئ الله -جل وعلا- من عباده من يقوم بهذه جميعا، وهٰذه مقامات الأئمة وهؤلاء نوادر في الأمة -مقامات المجددين- وهؤلاء لا ينبغي للإنسان أن يقيم نفسه بهم.

إذن هٰذا الذي يقول: ما رأيت العلم أثمر فيّ، أليس المجاهدة في نفسك، ولا تحتقر نفسك ولا تقل: العلم لم ينفعني أو أنا لم انتفع بالعلم فسأترك العلم، لا، العلم لابد أن يؤثر بإتيان الفرائض وترك المحرمات وتعليم العلم وبالكلمة الطيبة وتؤثر مهما كان التأثير قليلا؛ لكن لابد أن يكون ذلك مؤثرا؛ يعني العلم، أما إذا كان العلم لم يثمر، بمعنىٰ صاحبه يرتكب المحرمات ويغشىٰ الكبائر والعياذ بالله ويفرط بالفرائض أو يترك حقوق العباد أو يعتدي علىٰ العباد في أموالهم أو في أعراضهم أو في ذواتهم ونحو ذلك، فهٰذا يجب عليه التوبة إلىٰ الله -جل وعلا- والإنابة عليه، والعلم يكون وبالا عليه، نسأل الله -جل وعلا- العافية والسلامة.

سؤال (٠٣): فضيلة الشيخ ماذا يقصد أهل الأصول بقولهم: والعامي يقلِّد أهل العلم. هل معناه أن العامي يجب عليه أن يقلد أحد العلماء في كل فتواه أم ماذا، أرجو بيان ذلك؟

الجواب: التقليد معناه قَبول قول الغير من غير حجة، وهو جائز باتفاق أهل العلم في مواضع، ومنها في حال العامي الذي جاء فيه السؤال، فإن العامي لا يعلم الأدلة ولا يعلم الأحكام، فيجب عليه أن يسأل

كما قال -جل وعلا-: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾[1]، فإذا كان لا يعلم حكم الله -جل وعلا- فإنه يجب عليه السّؤال.

والعامي ليس وصفا واحدا؛ بل العامية تتجزأ فقد يكون طالب العلم عامّيا في مسائل؛ لا يعلم الحكم في مسائل، فيجب عليه أن يسأل أهل العلم فيها، وأن يعمل بما أفتوه في ذلك.

العامّي إذا سأل فإنه يسأل من يثق بعلمه ودينه من أهل العلم، يبحث في بلده أو يسأل عن الأعلم الأفقه أو هو بمعرفته يقول: هٰذا العالم أنا أثق بعلمه ودينه فيسأله فيعمل بما قال.

ولا يلزم العالم يعني لا يجب عليه أن يذكر الدليل للعامي، وعلىٰ هٰذا جرىٰ فتوىٰ الصحابة رضوان الله عليهم، فإنهم يفتون بلا ذكر الأدلة، وهكذا أيضا أثر عن أئمة الإسلام كمالك في المدونة والشافعي في المسائل والإمام أحمد في المسائل المروية عنه، فإنهم يفتون بلا ذكر الدليل، وهٰذا ظاهر في أنه وجب السؤال ولم يوجب الله -جل وعلا- علىٰ أهل العلم بيان الدليل للمستفتي.

والقسم الثاني ممن يقلد: العالم أو طالب العلم؛ يعني يقبل قول العالم من غير حجة إذا احتاج إليه وضاق الوقت عن معرفة الصواب في المسألة، ووثق بالعالم في علمه ودينه فإنه يجوز له تقليده أيضا بالاتفاق مع ضيق الوقت، الآن أصلي أو ما أصلي إيش أعمل؟ سأل أحد طلبة العلم أو عالم قال له: صلّ، يجوز له في حال ضيق الوقت أن يقلد وإن كان عالما أو طالب علم، العالم يقلد من هو أعلم منه، وهٰذا كثير عند علماء الإسلام، فقلد الشافعي مالكا في مسائل ثم رجع عنها، وقلد الإمام أحمد الشافعي في مسائل ورجع عنها، إلىٰ آخره كما هو معلوم، فإذا ضاق الوقت واحتجت إلىٰ العمل فلا تترك ذلك إلىٰ الهوىٰ؛ هوىٰ النفس أو إلىٰ ما تهواه أو ترجحه نفسك من غير قول عالم.

وهٰذا يشمل الرجوع إلىٰ ما يحفظه الإنسان من المتون الفقهية، مثلا حفظ الزاد أو حفظ أو يعلم أن الشيخ الفلاني له فتوىٰ في المسألة بكذا، ثم احتاج إليها إما مسألة في البيوع أو مسألة في المعاشرة الزوجية أو في الحقوق أو في الصلاة، يعلم الفتوىٰ ولكن ما يدري أوش المأخذ، أو يذكر قول الماتن في المسألة فله أن يعمل به مع ضيق الوقت لثقته بقول العالم؛ يعني ضيق وقته عن أن يبحث عن الصواب في

---

[1] سورة: النحل الآية (٤٣)، الأنبياء الآية (٧).

المسألة، ونحو ذلك.

مسألة تقليد العامي، تجزؤ الاجتهاد، وتجزؤ أيضا العامية، وأنها وصف يتفاضل فيه الناس هٰذا موجود ولبسطه يحتاج إلىٰ وقت طويل.

سؤال (٤٠): هل طالب العلم يفتي الناس بما يعتقده هو أو بما يفتىٰ به في هٰذه البلاد؟

الجواب: هٰذه مسألة عظيمة ومهمة في أن طالب العلم قد يترجح له في نفسه، يظهر له أن بعض الأقوال أرجح من بعض، وأن قول العالم الفلاني أصح لأجل الدليل الذي عنده، ويقتنع لهٰذا الرأي يعني بهٰذه الفتوىٰ دون غيرها وبهٰذا القول دون غيره. هٰذا يحصل كثيرا.

إن وجد هٰذا فإن العلماء ذكروا أن من حصل له هٰذا فإن له أن يعمل به في نفسه، وذلك لقول ابن عباس لسعيد قال: قد أحسن من انتهىٰ إلىٰ ما سمع. فإذا عمل في نفسه بما يعلمه من العلم إذا كان متحققا منه ومتثبتا منه.

وأما إفتاؤه غيره، فالصحابة في الأصل يتدافعون الفتوىٰ، الفتوىٰ ما يجوز لطالب العلم أن يتسابق إليها وأنه يفرح بمن يستفتيه؛ لأن الفتوىٰ توقيع عن الله -جل وعلا-؛ يعني إخبار عن حكم الله -جل وعلا- وإذا كان العبد في غناة عن أن يفتي، والمفتون موجودون في البلد فيحيل المستفتين إلىٰ أهل الفتوىٰ، هٰذا أبرأ لذمته وأطيب لعلمه وعمله.

والإفتاء إن اضطر إليه لحاجة فليس له أن يفتي بما يخالف ما عليه الفتوىٰ؛ يعني فتوىٰ أهل العلم الراسخين في بلده، البلد التي يعيش فيها؛ لأن العمل عمل الناس علىٰ نسقٍ واحد هٰذا مطلوب لأجل أن لا يضطرب عمل الناس في الشريعة، فيستهزئ الناس أو يستهجنون الشرع بأنواعه، مثل ما هو حاصل الآن يجتهد بعض الناس إما في بعض السنن في الصلاة أو نحو ذلك، العامة ما يعرفون تنوع الأشياء، يشككون في الأصل، إما يشكون في المفتىٰ هٰذا طالب العلم، أو يشكون في علمه، أو يشكون في الديانة يقولون: فيها سعة، اعمل بما تشاء والأمر سهل.

هٰذا لاشك له مفاسد كثيرة، لهٰذا نهىٰ علماء هٰذه البلاد وأئمة الدعوة -رحمهم الله تعالىٰ- نهوا أن يفتي أحد بما ليس عليه الفتوىٰ، لكن من ترجَّحت له مسألة فلا بأس له أن يعمل بما ترجَّح له في نفسه؛ لكن إفتاء الغير فإنما يكون لما عليه الفتوىٰ.

سؤال (٠٥): فضيلة الشيخ أنا شاب في المرحلة الجامعية، وأريد طلب العلم، فكيف أجمع بين الدراسة النظامية في الجامعة وبين طلب العلم في المساجد؟

الجواب: الحمد لله.

طلب العلم في المساجد هو معين لطلب العلم في الكليات، وكذلك طلب العلم في الكليات الشرعية معين لطلب العلم في المساجد، فهٰذا لا يناقض هٰذا ولا يعارضه، إذا وجد أنه يتعارض لأجل كثرة الدروس التي يحضرها فإنه يخفف من الدروس لا تنفعه، ويحصّل ما ينفعه ودرسنا في الجامعة ودرسنا فيها أيضا في العلوم الشرعية بأنواعها وخالطنا من درس ودرّس.

الذين أخذوا تدريس الكليات يعني التعليم بجد والتعلم من الطلاب والمدرسين الذين أخذوه بجد انتفعوا كثيرا؛ لكن الإشكال أن يأتي الطالب ما يذاكر إلا وقت الاختبار، لا شك العلوم الشرعية كبيرة مجلدات وفنون مختلفة ما يمكن تمشي بهٰذه الطريقة، ولو أنه يذاكر مذاكرة طلب للعلم ويحفظ ما يلقيه الأستاذ في يومه ويرجع للشروح ويبحث ويسأل من يلتقي به من أهل العلم في المساجد، فإن هٰذا لاشك أنه مكسب عظيم والعلم يزيد العلم علما ولا يتناقض العلم مع العلم.

من حيث الواقع بعض الدروس في المساجد وبعض الدروس في الكليات فيها نقص؛ لكن النقص تتممه بما تحصّله من علماء آخرين أو من أساتذة آخرين، الذي يطلب الكمال في كل شيء ما يحصِّل؛ لكن أنت احرص علىٰ ما ينفعك إذا وجدت بابا فيه خير فَلِجْهُ فإنه خير لك في عاقبة أمرك إن شاء الله.

فأنا أوصي الجميع بأنهم يحرصون علىٰ الدروس في الكليات وأن يراجعوا ويبحثوا المسائل التي درّسها المشايخ لهم، وأن يحرصوا أيضا علىٰ الدروس في المساجد؛ لأن هٰذه فيها نفع من جهة وتلك فيها نفع من جهة أخرىٰ، والكل يُكمل بعضه بعضا وفق الله الجميع لما فيه رضاه.

سؤال (٠٦): فضيلة الشيخ ما رأيكم بمن يفسر قول الرسول ﷺ: **«من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين»** أي معرفة أفضل الأعمال في الوقت وأكثرها في أجرًا فيبادر لفعلها وتقديمها علىٰ غيرها من الأعمال الصالحة [..] فضلا في ذلك الوقت؟

الجواب: هٰذا صحيح، تفسير صحيح للحديث، وهو بعض ما يدل عليه الحديث، فمعرفة وعلم طالب العلم بما يترجح من الأعمال الصالحة، هٰذا من العلم النافع؛ يعني مثلا يعلم أن هٰذا العمل

أفضل وأكثر أجرا من هٰذا العمل، هٰذا يحتاج إلىٰ علم وفقه، فإذا علم لاشك أنه سيغشىٰ ما هو أفضل له.

الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ لما جاءه الحافظ أبو زرعة عبيد الله بن عبد الكريم الرازي المعروف لما جاء إلىٰ بغداد كان يتذاكر معه الحديث ويعارضه الحديث من بعد صلاة العشاء إلىٰ الفجر؛ لأنه جاء في أيام معدودة وهو من حفّاظ الحديث ومذاكرة الحديث وحفظه ومعرفة الضعيف ومن غيره والمعلول والموضوع إلىٰ آخره، هٰذا نفعها متعد للأمة وهٰذا وقت الحافظ أبو زرعة قليل في بغداد.

فقال الإمام أحمد: استعضنا عن قيام الليل بمذاكرة أبي زرعة.

فلم يقم تلك الليالي ولم يصل النوافل ورده المعتاد، وإنما كان مع أبي زرعة يذاكره الحديث، هٰذا لاشك يحتاج إلىٰ علم، فهٰذا من الفقه في الدين «**ومن يرد الله به خيرا يفقّهه في الدِّين**».

فإذا بلغ طالب العلم في العلم مبلغا أنه يعلم الراجح من المرجوح أو الفاضل من المفضول في العبادات المتزاحمة في وقت واحد، ويرجح الراجح أو يفضل الفاضل علىٰ المفضول ويأتيه، لاشك أن هٰذا مما يؤتيه الله -جل وعلا- بعض عباده.

الواحد في أموره في ليله ونهاره يأتيه مثل هٰذا كثيرا؛ يعني مثلا يقرأ القرآن الفجر أو يستغفر، أيهما أفضل؟ الآن تجد كثيرا من الناس شاع عندهم أن قراءة القرآن والفجر دائما أنها أفضل من الاستغفار، وكثير من أهل العلم كشيخ الإسلام ابن تيمية وأئمة الدعوة يفضلون الاستغفار في هٰذا علىٰ غيره؛ لأنه هدي النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ النبي -عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ- بين الأذان والإقامة ما كان يقرأ القرآن، ولأجل أن يدخلوا في عموم قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ١٧﴾[آل عمران]، وفي عموم قوله -جل وعلا-: ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ١٧ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ١٨﴾[الذاريات] قال الحسن البصري -رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ- في تفسير هٰذه الآية: قلّ نومهم وهجيعهم خوفا من ربهم، فلما أصبحوا استغفروا خوفا من أنّ عملهم لم يقبل.